النَّسقُ الثَّقافي في خِطابِ المُبرِّد النَّقدي
قِراءةٌ ثقافيَّةٌ في كِتاب (الكَامِلُ في اللُّغةِ والأدَب)

أ.م.د. سامي شهاب أحمد
جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية

تاريخ استلام البحث : ١٨ / ١ / ٢٠١٧ تاريخ نشر البحث : ١٨ / ٥ / ٢٠١٧

المقدمة

لا يُمكن النَّظر إلى الثقافةِ على أنَّها سلّةٌ من المَعارفِ المُؤدلَجةِ والفلسفاتِ المُنتخبةِ التي تعكِسُ طبيعةَ المنظومات الفكريَّةِ والايديولوجيَّةِ المُتجذِّرةِ في المُجتمعاتِ المُتنوّعة فحسبْ ؛ وإنَّما هي كينونةٌ شُموليَّةٌ متشظِّيةُ الرؤى والمداخِل ؛ كونَها تعملُ في مساحةٍ من التقاطبات والتنافرات . وهذا يعني وقُوفها على أرضٍ رخوةٍ تجعلُ ثباتَ المفاهيمِ وتحديدَ البؤرِ الراكزةِ أمراً مُستبعداً ؛ ولاسيما أنَّها تُمثِّلُ عتبةَ التسويةِ بين مركزيَّةِ الإرث الماضي والتوجُّه الحاضر والمستقبلي؛ مما يفرضُ ذلك صعوبةَ التقنين في التوجُّهاتِ والمفاهيم ؛ وهذا ما جعلَ الثقافةَ فضاءً مَفتوحاً يحتاجُ إلى تفاعُلاتٍ مَرسومةٍ لسبْر أغوارِه وتشكيل مُعطياتٍ مفاهيميَّةٍ قابلةٍ للمُداولةِ والقِراءة . ومن هذا المُنطلق ارتأينا الوقُوف على خِطابِ المُبرِّدِ النقدي للكشفِ عن النسقِ الثقافي المُتجذِّر فيه ؛ مُتَّخذين من كتابِه (الكاملُ في اللُّغة والأدَب) مِفتاحاً لولوجِ هذا الميدان . وقد تضمَّنت الخُطةُ تمهيداً ومبحثين . سلَّطَ التمهيدُ الضوءَ على تعريفِ النسقِ الثقافي وأهميته في لُعبةِ الإختباءِ والمُخاتلة ؛ ودوره في استمالةِ العقولِ نحوه .

أمَّا المبحث الأوَّل : هيمنةُ النسق الجماعي (المؤسساتي) فإنَّه عالجَ مفهوم سُلطةِ المنظُومةِ المؤسساتيَّةِ على مجرياتِ الثقافةِ في النصوص ؛ عبر المرجعيَّةِ الاجتماعيَّةِ والفكريَّة . أي أنَّ المُبرِّد قد انطلقُ من أُفق التأثيرِ التاريخي التراكُمي وعملُ ضِمن نظامه . مُستخدماً بذلك طُرق المُهادنةِ والمُلاحظةِ والإستقراءِ السطحي .

وجاء المبحثُ الثاني : هيمنةُ النسق الفردي ليُعالج فكرةَ الرَّفضِ والمُعارضةِ التي تبنَّاها المُبرِّد في خِطابِه للتخلُّص من سطوةِ المركزيَّةِ المؤسساتيَّةِ عبر المرجعيَّةِ التاريخيَّةِ والفلسفيَّة ؛ فقد رفضَ وشكَّكَ وعارضَ قضايا كثيرة كانت بصمةً ثابتةً في الأذهان ؛ مُحاولاً إلباسها حُلَّة جديدة تتماشى مع التغيير الذي يرومُ إليه . وقد اتكأ على الجدلِ والمُناظرةِ والصراعِ لتحقيق مُبتغاه .

وفي الختام نسألُ الله تعالى أنْ يُوفِّقنا في ما كتبنا ونكتُب ؛ خدمةً لمشرُوع العِلمِ والمعرفة

التَّمْهِيدُ

يعدُ الخطابُ النقديّ منظومةً مُتكاملةً من الآلياتِ والمعارفِ التي تسعى لمُساءلةِ الخطاب الأدبي مُساءلة مُجاراةٍ وتعضيد ؛ لبيانِ قيمهِ وجماليَّاتهِ وما فيه من ومْضاتٍ فكريَّةٍ وفلسفيَّةٍ وهلمَّ جراً . وهو بذلك يُشكل فضاءً تنويرياً ودلائلياً يحملُ بين طيَّاته رؤى مُتشظِّية من القيمِ الثقافيَّةِ والمعرفيَّةِ التي ينبغي الوقوف عندها وكشف خباياها ؛ فالخطاباتُ على اختلافِ أشكالها (أدبي ، نقدي ، نقد النقد) لم تعد ترزح تحت أقبيةِ المدلُولاتِ اللسانيَّةِ وما يتوارى خلف تراكيبها من جمالياتٍ لغويَّةٍ وأسلوبيَّةٍ في ظلِّ الألسنيات ؛ بل هي مُهادنةٌ للأُطرِ السياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ والدينيَّةِ وغيرها في ظلِّ الدراسات الثقافيَّة ؛ والماديَّة الثقافيَّة ؛ والنقد الثقافي (*) . وعليه فإنَّها خطاباتٌ تحمل جُملةً من الإرهاصاتِ الثقافيَّةِ والمعرفيَّةِ المُخاتلةِ التي تتطلبُ من القارىء الثقافي فكّ منظومتها وكشف الآعيبها للمُتلقي . وبحسبِ هذه الرؤية فقد عرّف (ميشال فوكو) الخطابَ بقوله : " شبكةٌ معقدةٌ من العلاقات الاجتماعيَّةِ والسياسيَّةِ والثقافيَّةِ التي تبرز فيها الكيفية التي يُنتج فيها الكلام كخطابٍ ينطوي على الهيمنةِ والمخاطر في الوقت نفسه " (١) . وتتضحُ صورة الهيمنةِ التي أشار إليها (فوكو) عبر الأنساقِ الثقافيَّةِ التي تلتصقُ بالخطاباتِ من الداخل ؛ والتي لا تنكشف إلاّ في ضوءِ قِراءةٍ ثقافيَّةٍ فاحصةٍ مُهمّتها استدعاء المخبوء والمُضمر البعيد فيها ؛ لانَّها أنساقٌ مُوغلةٌ في القدمِ وقد تشكَّلت عبر فاعليَّةِ التراكُم التاريخي للأنشطةِ الثقافيَّة ؛ ويتضحُ سحرها عبر تدجين الذهنيَّةِ الفرديَّةِ وعدم السماحِ لها بمُمارسة دورها الطليعي القائم على التغيير والتجديد . أي هيمنةُ العقل الجماعي على الفردي . وقد أشار إلى ذلك صراحةً حفناوي بعلي بقوله : " والأنساق الثقافيَّة هذه أنساقٌ تاريخيَّةٌ أزليَّةٌ وراسخةٌ ولها الغلبة دائماً ، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاكِ المنتوجِ الثقافي المُنطوي على هذا النوع من الأنساق ؛ وكُلَّما رأينا منتوجاً ثقافيَّاً ، أو نصاً يحظى بقبولٍ جماهيري عريض وسريع ؛ فنحنُ في لحظةٍ من لحظاتِ الفعلِ النسقي المُضمر الذي لا بدَّ من كشفهِ والتحرُّك نحو البحث عنه(٢) . وفي الصدد نفسه أشار عبد الفتاح أحمد يوسف إلى ذلك بقوله : " النسقُ – أذن– يتحققُ بوجودِ نظامٍ ثابتٍ ينغرسُ في وجدانِ المجتمع ، ويتغلغلُ داخل ذاكرتهِ ولم يلبث أنْ يُسيطر عليه ، لانَّه ينبني من تراكم أثر في العقل الجماعي ثم الانتشار ، وهنا يمتلك القدرةَ على التحكمِ في ردود الأفعال ، ومن ثمَّة السيطرة والهيمنة على الأفراد ، ويصبحُ النسق لا همَّ له سوى أنْ يجعل من قيمه أقنعة لأفكارٍ مثاليَّة تُوهم الذات بانَّها السبيل إلى الحياة " (٣)

وعليه فإنَّ القراءةَ الثقافيَّة (*) تسعى إلى قِراءةِ الخطاباتِ التي تحظى بالقبولِ والشُّهرة ؛ بل تلك التي شكَّلت قاعدة الانبناء الفوقي للأُطرِ الفكريَّةِ المُتنوّعة . ويعدُ خطابُ المُبرّد النقديّ المُتجذِّر في مؤلفاتهِ ولاسيما في كتابهِ (الكاملُ في اللُّغة والأدب) واحداً من الخطاباتِ الجماهيريَّةِ التي لاقتْ استحساناً وصدىً ليس في زمن الإنتاج بل في كل الأزمان ؛ كونهُ خطاباً شُمولياً مُتعدد الانتماءاتِ والمعارف ؛ ومبنياً على أُسسِ الامتصاصِ والتوليدِ وإيصال المعلومة " وهدفه الإفهام والتأثير ، وهذه الخصيصة تقرّر المصدر الفردي للخطاب ، كونهُ نتاجاً يلفظهُ الفرد ويهدف من ورائه إلى إيصال رسالةٍ واضحة المرمى ومؤثرة في المتلقي(٤) . ولكنَّهُ في الوقتِ نفسه لم يسلم من تغلغلِ الأنساقِ الثقافيَّةِ في بنيته ؛ والعمل على المُراوغةِ والإضمارِ تحت أقنعةِ الحيل الجماليَّةِ والوظيفيَّةِ فيه. فهي أنساقٌ تجذَّرت في بؤرهِ ولا يُمكن أنْ يهتدي إليها المُنتج نفسه ؛ لانَّها من صنيعِ التراكماتِ الثقافيَّةِ لا من صنيعه ؛ وهذا يعني انجذاب الخطاب نحو نزعة الصراعِ التي تُحدث هُوَّةً بين ما يُقال وما يُقصد ؛ وبين البنيةِ التحتيَّة والبنية الفوقيَّة ، وباختصار بين العقلِ الجماعي المُهيمن وبين العقل

الفردي الباحثِ عن النَّهضةِ والتحرر من القيودِ والأنماط الثابتة . وعلى وفقِ وجود نسقٍ دلاليٍّ ظاهرٍ وآخر نسقٍ ثقافي مُخاتلٍ مُضادٍ يأخذُ الخطابُ حيزه الأمثل للدراسةِ في ظِلِّ قِراءةٍ ثقافيَّةٍ تسعى لإعادةِ هيكلته ضمن سياقه الثقافي والتاريخي لمعرفةِ شكل الأنساقِ التي تخندقتْ فيه لازمانٍ وعصور . وهذه هي وظيفةُ النقد الثقافي من خلال الوظيفةِ التي أسماها عبد الله الغذامي بالوظيفة النسقيَّة التي تكون بديلةً عن الوظيفةِ الأدبيَّةِ والجماليَّة . وهي وظيفةٌ لها " نسقان يحدثان معاً وفي آن ؛ في نصٍ واحدٍ أو في ما هو بحكمِ النّص الواحد ، يكون المُضمرُ منهما نقيضاً ومُضاداً للعلني ؛

فإنْ لم يكن هناك نسقٌ مُضمرٌ من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النَّص في مجالِ النقد الثقافي"(٥). وبناءً على صيغةِ التَّضاد التي يحتملها الخطاب ؛ وما يعتوره من تعثرٍ وانقيادٍ وخضوعٍ من جهة ؛ وانفلاتٍ وتحررٍ ونهضويَّةٍ من جهةٍ أُخرى ؛ فإنَّنا وجدنا أنَّ خطابَ المُبرّدَ النقديَّ المُتأسّس في كتابهِ (الكاملُ في اللُّغة والأدب) يحتاجُ الى إعادةِ قراءتهِ بمعولٍ نقديٍّ جديدٍ لا يُهادن أشطرهُ وسمنته المعلوماتيَّة وطُرقهِ الأسلوبيَّة ؛ وإنَّما يُجري حفريات عميقة في أساساته لكشفِ هويته البنائيَّةِ والمعرفيَّة ، فخطابهُ – في هذا الكتاب – من الخطاباتِ التي لها شأنها في الساحةِ الأدبيَّةِ والفكريَّةِ في التُّراثِ العربي ؛ لما تضمَّنه من رؤىٍ وتشظياتٍ لها أبعادُ وانتماءاتُ صريحةُ وضمنيَّة . وهذا يعني أنَّه خطابُ جماهيري ذو أذرُعٍ مُتنوّعةٍ سمحت له أنْ يكونَ عُرضةً للمُساءلةِ في ضوءِ آلياتِ النقدِ الثقافي الباحثةِ عن الدلالاتِ النسقيَّةِ للوصول إلى الوظيفةِ النسقيَّةِ التي التصقتْ به .

المبحثُ الأوَّل : هيمنةُ النسق الجماعي (المُؤسساتي)

إنّ حيزَ الثقافة مرهونُ بمركزيَّةِ عدم الثبات ؛ أي الانسلاخ من عباءةِ القُيودِ والقوانين والانحسارِ والتضييق ؛ والإنطلاق نحو الشمُوليَّة والإنفتاح وجذب المُتناقضاتِ وما شاكل ذلك من مفاهيم وارهاصات . وهذا يعني انشطار البؤر الثقافيةِ إلى نصفين ؛ أحدهما يسلكُ طريق المُهادنةِ والمُجاراةِ والتسليم بالعناصرِ الثقافيةِ وثيماتها المُبجَّلة . والآخر يتخذُ من الصراع ركيزةً أساسيَّة لإحداثِ الخلل في تلك الثوابت ؛ ومُحاولة إيجاد الثغرات ورصد العثرات لغرض إعادةِ ترميمها من جديد ؛ في ظل تنامي الفكر الايديولوجي الذي يُحدث هذه النقلة . وفي إطار ماهو أدبي ونقدي نلمس أنَّ الثقافة تتجذَّرُ في تلك الخطابات حاملة هويَّة الثابتِ والمُتحوّلِ في الوقتِ نفسه ؛ مُلقيةً المسؤوليَّة الكبيرة على كاهلِ القارىء لكشف المُلابسات والتصدُّعات والإختلالات ؛ لانَّ " بنية الثقافة بمُمارساتها النظريَّة والتحليليَّة ، وبالفاعل الذي ينهض بها وهو الإنسان تتمثل خطابياً ، وعليه فالخطاب هو ميدان التحليل ، والخطابُ ضربُ من تضافرِ الإشارات ؛ تكون اللُّغة فيه عُنصراً تمثيلياً بين عناصر إشاريَّة أُخرى " (٦) .

وعلى وفق هذه الرؤيةِ نجد أنّ خطاب المُبرّد النقديَّ كغيره من الخطابات المُماثلة له واقع تحت تأثير هيمنة السلطةِ المؤسساتيَّةِ المُمثَّلة بالاتجاهات الفكريَّةِ والاجتماعيَّةِ العاملةِ في الساحة آنذاك من جهة ؛ ومُحاولة الذات الفرديَّة المُنصهرةِ بالجماعيَّة التمرُّد على تلك السلطةِ بشتى الوسائلِ إيماناً منها بالحريَّةِ الثقافيةِ من جهةٍ أُخرى . إنَّ السلطة المُهيمنة هنا ليس فرداً يُسمحُ بمعارضته بصورةٍ مُباشرةٍ من الأنا ؛ بل هي سُلطة

الثقافةِ الجماعيَّة التي ترسَّخت في الأذهانِ وتلاقحت عبر سِلسلةٍ فِكريَّةٍ مُتتابعةٍ لا يُمكن الحياد عنها أو تجاوزها ؛ فهي إشكاليَّةٌ ثقافيةٌ وتداخلُ مع جُملةٍ من الخطابات (٧) ، لذا فإنَّ لُعبةَ الإنتماء واللاانتماء تفرز أنظمةً مُتحرّكةً مُنفتحةً على سؤال الثقافةِ ؛ تكون فيها السُلطة المؤسساتيَّة الرابحَ الأكبر في بثِّ فلسفاتها وأفكارها وأنشطتها الاجتماعيَّة والمعرفيَّة . وبحسب رصد الأنا الفرديَّة لحصانةِ الآخر الجماعي(المؤسساتي) وبيان دوره في ترغيب ثيماته للمُتلقّين على اختلافِ أشكالهم وألوانهم وعلى مدارِ عُصورٍ مُتعاقبة ؛ ومُحاولة الأول الفردي التشكيك بذلك بحسب وسائله المُتاحة ؛ تتشكلُ الدائرةُ التأويلية التي هي " انفتاحُ لا نهائي على لُغةِ التساؤل المعرفي ، كما أنَّها انفتاح على لا نهائية الإنتاج الدلالي والنسقي في النص الأدبي " (٨) . وهذا يعني أنَّها ترسمُ مدارَ اشتغالها على نمطٍ مُتعاقبٍ يجعل الثقافة في دوامةٍ من الخيارات غير المُستقرّةِ التي تحتاج في النهاية الى مُساءلتها ؛ لفهم طبيعة الهيمنةِ وأشكالها ؛ لذا " فالدراساتُ الثقافيَّة تهدفُ إلى فهمِ شكل الهيمنةِ في كُلِّ مكان ، وتسعى الى تغييره " (٩). وبحسبِ هذه الرؤية فإنَّ خطابَ المُبرّدَ النقديّ اتخذ لنفسه مساراً لا يختلف عن مسارِ الخطاباتِ الأخرى في تلك الحُقبة وتحديداً في القرن الثالث الهجري ؛ وهو مسارُ الإلتزام بالنُظم الفكريَّةِ والاجتماعيَّةِ السائدةِ وسُلطتها في رسمِ سياستها الخاصة ؛ بل توجيه الذوات نحو أُحاديَّة المفاهيم التي تطرحها وعدم الإنزياح عنها . وعليه إذا ما أزحنا ستار العُتمةِ عن هذا المسار فإنَّنا نجدُ أنفسنا أمام مُتواليات معرفيَّةٍ وثقافيةٍ عملت بحِرفيَّةٍ عاليةٍ على بناء جدارٍ متينٍ وقويٍّ من الداخل ؛ وهي مُتواليات راسخةٌ لها سطوتها وحضورها في تغيير المُنطلقات على النحو الذي تريده . وبعد قِراءةٍ مُستفيضةٍ في خطابِ المُبرّدِ النقديّ المُتبلور في كتابه (الكامل) رصدنا مجموعةً من تلك المُتواليات على صعيد الإتجاهين الفكري والاجتماعي ؛ ولكَثرتها وتداخُلها مع بعضها آثرنا تقسيمها على أساسِ ما هو عام وآخر خاص ؛ لكي تكون الصورةُ أكثر قُرباً من ذهنيَّةِ المُتلقي .

المنظُور العام

في هذا الإطار تتحرَّكُ المُهيمنات الفوقيَّةِ لتُعلن أهليتها في السيطرةِ على جميع الخطابات المُنبثقة ؛ الخطابات ذات النزعةِ الجماعيَّةِ المُواليةِ لها والمُهادنةِ لآرائها ، والخطابات ذات النزعةِ الفرديَّةِ المُناهضةِ لها . وقوة هذه المُهيمنات نابعةٌ من كونها مُتأصّلة الجذور في الإرث التاريخي والمعرفي ؛ وهي قادرةٌ على استخراجِ وبثِّ ما يُناسبها للآخرين لبناءِ قاعدةٍ مُحكمةٍ من الثوابت التي لا يُمكن تغييرها بسهولة ، فالخطاباتُ الفرديَّة في ظلِّ هذه القوة غيرُ فاعلة ومحصُورة في نطاق التغيير المُتمرّد الذي لا يحمل هويَّة الإنقلابِ الكُلّي وتجاوز الأنظمةِ المركزيّةِ الحديديَّةِ القديمة . كما أنّ الخطابات الجماعيَّة تُهادن تلك الأنظمةِ وتُسايرها بانطباعات التسليم تارة والمُراوغةِ تارة أُخرى ؛ ولكنَّها في النهايةِ مُرتهنةٌ بها وكِلاهما كما يُقال (وجهانِ لِعملةٍ واحدة) . لذا فإنّ النسقَ الثقافيَّ الذي تخفَّى خلف سُلطة الأنظمةِ الضَّامةِ للمُهيمنات الثقافيةِ الفوقيَّةِ يُمكن بيانه في خطاب المُبرّد وعلى النحو الآتي :

حملتْ منظومةُ الإبداع الأدبي والنقدي في تُراث أُمتنا إسقاطات الثقافات المُتنوّعة ؛ وبصُعدها المُختلفةِ الفكريَّةِ والاجتماعيَّةِ والفلسفيَّةِ والتاريخيَّةِ ألخ .. ، ودخلت بذلك مرحلة الرفضِ والقبولِ أو الإنتماء أو اللاانتماء ؛ وتنامت فكرةُ صراع التأثير والتأثر وتحقيق الإرادات القائمةِ على الخفاءِ والتجلّي . والسببُ يعودُ الى كون الثقافة فضاءً غير مُحدَّد ؛ ويتميّز بسرعة الإنتشارِ والإنشطار والنمو وأخذ هيئات مُتعدّدة غير قابلةٍ للعدِّ والحصر . ولم تأت هذه الثقافة من فراغٍ بل هي نتاجُ تراكمات معرفيَّةٍ في اللاشعور الجمعي للأفراد ؛

نتيجة القُدسيَّة التي رافقتها والمُتطلبات التي حقَّقتها وأصبحت بذلك مغروسةً في الذهنيَّة . وفي ضوءِ سيادة هذه الثقافة بمعارِفها المهولة ظلتْ منظومةُ الإبداع العربي الأدبي والنقدي أسيرة الإشتراطاتِ التي تُقدِّمها تلك الثقافة على صعيدِ اختيار الموضوعات ؛ والشكل الكتابي ، والصيغة الخاصة في العرض وهلمَّ جراً .

ولهذا فقد فرضتْ منظومةُ الثقافة المُخاتلةِ على المُثقَّفين باختلاف ايديولوجياتهم وتياراتهم وفلسفاتهم قيوداً قسريَّةً لم تُعلن عنها صراحة ؛ إلاّ أنَّها قيودُ مُتأسِّسةُ لا يُمكن تجاوزها لانَّها ذات عُمقٍ ضاربٍ في الجذور . واتضحت هذه القيود بسير المُثقفين على نهجٍ واحدٍ في النصوص التي ينتجونها ؛ فعلى الرَّغم من اختلافهم في الموضوعاتِ والتوجُّهات والانطباعاتِ والأجناس التي يميلون اليها لعرضِ أفكارِهم وتطلعاتهم ؛

إلاّ أنَّ الصيغ البنائيَّة لتلك الأجناس وطُرق التصنيفِ وأساليبها وما يتبعها من احترام سيادةِ الإسقاطاتِ الثقافيةِ البعيدةِ وغير المُعلن عنها تبقى السِّمة الغالبة في خطابات المُنتجين الأدبيين (الشعر والنثر) ، والنقاد والمفكرين وغيرهم من الشرائحِ المؤلِّفة . لهذا اتخذت النتاجاتُ العربيَّة ولاسيما في مهدِها القديم ومنها نِتاج المُبرِّد في القرن الثالث الهجري شكلاً ثابتاً من الإبداعِ والتصنيف . ولا مكان للمثقَّفِ الطليعي الباحث عن أُسس التغيير والتجديد . وعليه نجدُ المُبرِّد كغيره قد ساير الأفكار الضاغطةِ من دون إرداةٍ منه ، وهذا ما يُمثلُ نسقاً ثقافياً مخبوءاً سيطرَ وبثَّ برامجه القصديَّةِ بحُريَّةٍ وارتياح . ومن ذلك على سبيل المثال مُهادنة المؤسَّسةِ الفكريَّةِ من حيث عرضه للموضوعات المُتنوِّعةِ بصورةٍ مُقتضبةٍ وسريعةٍ تتراوح بين الأسطر والصفحات القليلةِ لخدمةِ الغاية التعليميَّة التي تهدفُ الى جعل المُتلقي على مقربةٍ من المعلومةِ بل التفاعل معها .

كما خلقتْ الثقافةُ بانساقِها المُتخفِّية من رحمها انموذجاً يُؤطِّر البُنى الفكريَّة ويُوجهها نحو مضانها في العقول ؛ بحيث تصبح الذهنيَّة العقليَّة مُستقبلةً لا باثَّة ؛ مُخدَّرةً لا مُتنوِّرة ؛ وهذا ما يمنع ثورة التغيير من أخذ فرصتها بل وأدها وقت الولادة . ويتمثل هذا الانموذج بهيمنةِ الأنساق الجماليَّةِ والبلاغيَّةِ والأدبيَّةِ في النصوص ؛ بمُباركة وتشجيع الأنساق الثقافية ، لانَّ ذلك سيُساعدها على بثِّ نشاطاتها باستمرارٍ من دون المَساس باساساتها من الآخرين التوَّاقين لهدم المُستبدِّ والمفروض . لذا نرى أنَّ الأدب والنقد العربيين قديماً وحديثاً قد سلكا طريقاً لم يرسُمانه بل كان مُسلَّطاً عليهما ولا جدوى من تركهِ وايجاد البديل عنه . وبناءً على ذلك تأسَّست ثقافةُ الاهتمامِ بالجمالياتِ الكتابيَّة ؛ وتخصيص نمط التأليف ؛ والاختيارات ؛ والتبويب ؛ وطُرق البناء الأسلوبي والتوظيف وما نحو ذلك . وهذا ما يفرزُ لنا تعالي جودة الهيكليَّة الشكليَّةِ على المضمون . والغرض الذي تطمحُ إليه الأنساق المُخاتلةِ هو جعل المُثقف يستلذّ بما هو جمالي ومُسايرته على حِساب تغييب هويَّة الواقع وما فيه من مضامين متلوِّنة . أي جعله مُنشغلاً بالمادي الملموس والإبتعاد عن المعنوي المُغيَّب . فضلاً عن جعل ثقافتهِ الخاصةِ تنصهر مع ثقافةِ المجموعةِ والتأقلم معها بوصفها الحاضنة الرياديَّة لنشر الأفكار وتوجيه المضامين . وعليه فإنَّ الخطابَ النقديَّ القديم بما فيه خطاب المُبرِّد قد سيطرت عليه مفاهيم السلطةِ البلاغيَّةِ والجماليَّةِ والتي من خلالها مرَّرت الثقافةُ أنساقاً كثيرةً فيها إفرازات القيم المُتضادةِ مع المجتمعِ والبيئة ؛ كما أنَّها شكَّلت أعتى برامجها المُراوغةِ لتكون مقبولةً في إطارها السطحي ؛

في حين أنَّها مقيتةُ ومرفوضةُ لحمُولاتها الدلاليَّة المُتناقضةِ مع ما تُريده علناً ، أي خطر المسكُوت عنه قياساً على المُعلن . فخطابُ المُبرِّد في كتابهِ الكامل قد سارَ على بيانِ الأثر الجمالي والبلاغي والأدبي من حيث نمط الاختيارات والموضوعات وطُرق تنظيمها وتبويبها . وبحسب المُحتوى الذي أشرنا إليه تبرزُ أمامنا فكرة التصادمِ والصراعِ بين ماهو جمالي وبلاغي ظاهر وبين ما هو ثقافي مُضمر؛ وهذا ما يدفعُ الى بروزِ

مرحلةِ التصدي لفك الإرتباط وحلَّ الإشكالات ؛ وهذا هو ميدانُ النقد الثقافي . وقد أشار إلى ذلك عبد الفتاح أحمد يوسف بقوله : " لأنَّ سيطرةَ الجمالي والبلاغي على النص في الخطابِ النقديّ العربي القديم لا تعني – حضارياً – مُمارسة الحِجر على المُمارسات النقديَّةِ الثقافية إلاّ عند الذين ينظرون إلى الخلفِ دائماً ، لانَّ مثلَ هذه المُمارسات الثقافية تعني الإحتفاء بما يملكهُ العقل النقدي الحداثي من آلياتٍ نقديَّةٍ وثقافيَّةٍ وفكريَّةٍ تُمكّنه من تأويل الصِدام المعرفي المُتوقع بين منظومةِ الجمالي والبلاغي ، ومنظومة التفكيك الثقافي التي تستطيع تجنيد البنائي والأسلوبي والسيميائي والتأويلي لخدمةِ النص " (١٠).

وباتجاه يُعضِّد تسيُّد الأُسس الجماليَّة والبلاغيَّة نلمس بروز تيار المركزيَّةِ الذي من مهامه الإقصاء والتهميش لاجل الإستحواذ على الموجِّهات الفكريَّةِ والسلوكيَّات الاجتماعيَّةِ وتوجيهها بحسب المُبتغى الذي يرتضيه . وهذا يعني – كما أشرنا آنفاً – إنصهار عقليَّة الذات الفرديَّةِ بالذات الجماعيَّةِ والتحرُّك على وفق مقتضياتها ومصلحتها ؛ والعقل ضمن الذات الجماعيَّةِ يدفعُ باتجاه ترغيب المُنتجين المُبدعين وغيرهم بالإلتزام بالومْضات الفكريَّةِ التي يطرحها تيار المركزيَّة ؛ لانَّه تيارُ يُقنِّن الإيديولوجيات والاتجاهات والفلسفات ويضعها في بوتقةٍ واحدةٍ ويُسيّرها ليضمن الولاءاتِ والإنتظام . وهذا يؤدي حتماً إلى نماءِ فكرة الصراع التي تتبلور جرَّاء الشروخ والتناشزات الفكريَّةِ والاجتماعيَّة ؛ بسبب التضادِ بين الدلالات الظاهرةِ والمُضمرة ؛ ويتمثلُ التناشزُ بالحِراك نحو قُطب الثابتِ والمُتحوّل لتعديل المسارات ؛ ولكن الإخفاق يأتي سريعاً بسبب عدم اللّحاقِ بركبِ التغيّرات الجديدة ؛ بل الميل نحو الخضوعِ لتداعيات الموروُث المُتراكم الذي نشَّط من هذه المركزيَّة وجعلها مُسلَّطة على الجميع . ولتمثل ذلك على واقع الخطابات الأدبيَّة والنقديَّة ؛ نجد أنَّ خطابَ المُبرِّد النقديَّ لم يخرج عن دائرةِ المركزيَّةِ المُوجِّهة للنظم الفكريَّة والاجتماعيَّة في تلك الحُقبة ؛

لهذا إلتزم بسيادةِ الفكرة التعليميَّة على النشاطات التأليفيَّة وما يتبع ذلك من ارتهاناتٍ واشتراطاتٍ قيميَّةٍ ثابتةٍ ومُتداولة لا يُمكن المساس بها . لذا كان خطابهُ النقديّ كغيره محصوراً في أطار التثقيف والتعليم وصنع الأنماط التي ترغب الثقافة أنْ تكون هكذا .

لهذا جاءت المركزيَّةُ المُوجِّهة للتيارات الفكريَّةِ والأنظمةِ الاجتماعيَّةِ مُعضِّدةً لقدسيَّة الأُسسِ الجماليَّةِ والبلاغيَّة . وهذا هو النسقُ الثقافي الأخطر الذي ظل مُراوغاً ومُتخفّياً وراء تلك الخطابات ؛ وسعى إلى تمريرِ القيمِ والبرامجِ المُدجّنة للعقولِ الساعيَّةِ للنهضة .

وقد امتازَ العصرُ العباسي ولاسيما في حُقبةِ القرن الثالث الهجري بتزاحمِ العُلومِ والمعارفِ وتداخلها مع بعضها الآخر ؛ وميلها نحو الإنشطار والتكوين والاكتمال ، مما خلق ثقافةَ الأخذِ والإنبهارِ والمُواصلةِ على الاشتغالِ في ميادين تلك العلوم بنفسٍ تصاعديٍّ مُطَّرد . لهذا نجد أنَّ المؤلفاتِ المُنجزةِ في شتى مجالاتِ عُلوم العربيَّةِ اتَّسمت بصبغةِ الإمتصاصِ والتوظيفِ من بعضها الآخر ؛ فعلماءُ البلاغةِ مثلاً يأخذون من اللّغويين والنحويين والأدباء ؛ والحال نفسه ينطبق على الجميع ، وهذا يعني العمل ضمن دائرة التوجُّه المُنبثقةِ من ثقافةِ العصر . وعليه فإنَّ خطابَ المُبرِّد النقدي في كتابه الكامل سارَ على هذه المنهجيَّة ؛ من خلال الاتِّكاءِ على الأخبار والمرويَّات وعُلوم العربيَّةِ باختلافها ليتماشى ذلك مع جوهرِ الكتاب القائمِ على التأديبِ والتعليم . وقد أوضح المُبرِّد ذلك في مقدّمةِ كتابه إذ قال : " والنيّةُ فيه أن نفسر كلَّ ما وقع في هذا الكتاب من كلامٍ غريب ، أو معنىٍ مُستغلق ، وأن نشرح ما يَعرِضُ فيه من الإعراب شرحاً شافياً ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مُكتفياً ، وعن أن يُرجعَ الى أحد في تفسيره مُستغنياً " (١١) ، فعلى الرغمِ من كون المُبرِّد أحد اللّغويين البارزين في قرنهِ ومُهمتهِ الكُبرى انحصرت في تدعيم هذه الهويَّة ؛ إلاّ أنَّه لم يَسلم من ضغوطات تيار

المركزيَّةِ الذي فرض عليه نُقطةَ انطلاقٍ واحدةٍ قوامها الاغتراف من العلومِ والمعارفِ المُحيطةِ لترسيخ فكرة ثورة الإنتشار المعلوماتي ، لهذا جاء كتابُ الكامل كغيره من الكُتب التعليميَّةِ والمعرفيَّةِ مُنوعاً وشاملاً وغزيراً بالمعلوماتِ التي تنتمي إلى علومٍ وثقافاتٍ مُختلفة .

هذا الإطار يُمثِّلُ نسقاً ثقافياً مُخاتلاً ظل يعمل على إعلاءِ هويَّةِ التعدديَّةِ الفكريَّةِ ؛ لتبقى الهويَّة الذاتيَّة مُعطَّلةً عن أداءِ مهامِها في إحداثِ التغيير والتركيز على مِحورٍ واحدٍ لا محاور مُتشعِّبة مُتداخلة .

المنظُور الخاص

إنّ سيطرةَ القيم والمفاهيم التي تُحرّكها الأنساقُ الثقافيةِ من خلف الكواليس على ثقافةِ الجماعات المُتعلِّمة والمُتنوِّرة دليلُ على اتساع رُقعةِ الهيمنة ؛ فلا أثر للخطابات الجماعيَّةِ والفرديَّةِ إلاّ في حواضن مركونة وهامشيَّة لا تستطيع المُجاراةِ والتصادم مع السلطة المؤسساتيَّةِ المبنيَّةِ على أساس سياسة العزلِ والإختزال . ففي المنظُور العام وجدنا أنَّ الخطابات الجماعيَّة مارست دور الثقافةِ المُنقادة وتسليمها بالمُعطيات المُتوارثةِ والمُتواترة ولا مجال للحركةِ لرفع جزءٍ من تلك القيود ؛ أمَّا في المنظُور الخاص فإنَّ تلك الخطابات رفعت شعار المُراوغةِ والحركةِ لتحقيق جُزء من فاعليَّة ثقافتها الخاصة وإبراز هويتها ؛ وعملت على نشرِ دعائم قصديتها المبنيَّةِ على التركيز والتقنين ؛ وكسر جُمود الرتابةِ المبنيَّةِ على سياسةِ التسليم . ولكن تلك الطموحات تبقى رهينة سُلطة الآخر المؤسساتي بدرجاتٍ متفاوتة ؛ أي أنَّ التغيير الذي تنشدُ إليه تلك الجماعات لا يرقى الى مستوى الضديَّةِ وقلبِ النُظم ؛ بل يبقى مؤدلجاً له بعمومية . لذا فإنَّ خطابَ المُبرِّد النقديَّ اتخذ لنفسهِ مجموعةً من الخيارات لاثباتِ الثقافةِ وقدرته على التناغمِ مع الثوابت المفروضةِ من جهة ؛ والتحايل لخصوصياتٍ مُعينة على تلك الثوابت من جهةٍ ثانية . ويُمكن من خلال ما عُرض انتقاء مجموعة من المفاهيم الخاصَّةِ التي حاول من خلالها المُبرِّد إثبات هويته الذاتيَّةِ التي تمتشج مع الهويَّةِ الجماعيَّة ؛ من حيث تطلُّعاته وأفكاره وغير ذلك .

إنّ أوَّل ما يُطالعنا في هذا المِضمار هي العنونة التي حاول من خلالها المُبرِّد تجسيد مفهوم النتوءات التي لها حظوةُ الانزياح عن منابعِ الجُمود التي بلورتها الهيمنةُ المؤسساتيَّة عبر أنساقها الثقافيةِ المُضمرة ، فالعنونةُ مثَّلت شرارة التطاير الفكري التي تُثبت الهويَّة الذاتيَّة ولكن في إطار الهويَّة الجماعيَّة ؛ لانَّ اختيار العنونةِ وإنْ كان نابعاً من الذات إلاّ أنَّه محكومُ في الوقت نفسه بفلسفةِ التأثير الفكري الذي تُمارسه المؤسَّسة المتسلِّطة . ولإيضاح ذلك على نحو أمثل نجد أنَّ مفردة (الكامل) لها أبعادها السيميائية التي تجعل من خطاب المُبرِّد مُهماً ، فالكاملُ هو الشيء المُنجز باتقانٍ وتكاملٍ وحُبكة ؛ أي اكتمال مضامينه وطُرق عرضها ؛ فضلاً عن أنَّ المُفردة جاءت مؤطَّرة بـ(أل) التعريف وذلك لزيادة فاعليَّةِ التكامل البنائي وجعله صورةً واقعةً معرَّفة يألفها الجميع . كما أنَّ ربط الكاملِ كشعارٍ فوقيٍّ مُتشظٍ باللُّغة والأدب يُثبت اندفاع الفعل الذاتي نحو مكامن التخصيصِ وتحديد الأنماط ؛ إيذاناً منه بخفوت سُلطة الثقافةِ العامةِ المُمثَّلة بهويَّةِ العصرِ والبيئة .

وبحسبِ سياسة المدّ والجزر نرى أنَّ مُنجز العنونةِ ذو دلالةٍ إشاريَّةٍ تُبرز سعة الثقافةِ التي يتمتع بها صاحبُ الخطاب وهو المُبرِّد ؛ وهذا ما يجعل قُطبي الظاهر والمُضمر على نقيضٍ وتحدّ ؛ ولكن قدرة المُضمرِ على صُنع الحيلِ وركوب موجة التمايُلِ تجعله يطغى حضوراً على الظاهر الذي يُحاول إحداث السّبق في المضمونِ الفكري . وتتضح غلبة المُضمرِ على الظاهرِ عبر سيطرةِ الرؤى الشموليَّةِ على الصياغاتِ التأليفيَّةِ

باختلاف أشكالها ؛ ففي حدود تصنيف المؤلفات نلمسُ أنَّ العناوينَ كانت تُوضع على وفق مُقتضيات القبول الجماهيري لاجل كسب الرضا والتأييد والدخول نحو عالم الشُّهرةِ والنجاح ؛ وهذا يعني أنَّ الذات الفرديَّة بامتشاجها مع الجماعيَّة كانت تعمل على تحقيق رغباتها الخاصَّة ولكن ضمن تيار المركزيَّة الباني للمفاهيمِ والسلوكيات ؛ كونه قد سيطر على العقلِ الجماهيري وألبسه لبوس القبولِ والإنبهار والمُهادنة . ولتدعيم هذه الفكرة نجد أنَّ خطاب المُبرِّد استند إلى القاعدةِ الجماهيريَّة في تقسيم الكتاب ؛ من حيث أنَّه لم يضع عناوين داخليَّة للموضوعات التي عرضها وعالجها ، وإنَّما اكتفى بذكرِ مُفردة (باب) التي أصبحت سِمةً علاماتيَّة في مؤلفاتِ تلك الحُقب .أي أنَّه على الرغم من التغيير الذي كان ينشد له المُبرِّد فإنَّه كان يسير على نهجِ أدلجةِ العصرِ وطبيعته الثقافية . وهذا يعني حيويَّة النسقِ الثقافي في تحقيق مُتطلباتهِ بمدياتٍ من التحدي والصَلابةِ والتعالي .

ومن الاتجاهات التي حققتْ الرِّهان على تخطي جزء من حاجز الهيمنةِ المؤسساتيَّةِ هو اتجاه تنامي نزعة خطاب النُّخبة ؛ فالمثقفُ النخبوي المُمتلىء بالسُّمنةِ المعلوماتيَّةِ يتحرَّك ضِمن مسارٍ مُحدَّدٍ ضيِّق ؛ لانَّه في حال صراعٍ وجذبٍ مع المؤسَّسة الثقافية النخبويَّةِ المُهيمنةِ على البرامج الفكريَّةِ وطُرق نفوذها في البيئة المجتمعيَّة . والنُّخبويَّة في أساسها مُمتدَّت الأذرُعِ في الميادين المُختلفةِ الدينيَّة والثقافيَّة والسياسيَّة وغيرها ؛ ومُهمتها رسم السياساتِ وضبط القيمِ والمفاهيم ؛ وقد أشار حفناوي بعلي إلى ذلك بقولهِ : " إذا نظرنا الى عناصر النُّخبة نجد أنَّها تتكوَّن من فئاتٍ لها حضور فعّال في الواقع ؛ تمثل النُّخبة السياسيَّة والدينيَّة ؛ والنُّخبة الثقافية بالمعنى المباشر الأدباء والفلاسفة والمُثقفون . تلك النُّخبة المُستنيرة التي لها وظيفة فكريَّة ، عقليَّة ، أخلاقيَّة ، تحديثيَّة ، والتي تشكل مرجعيةً أساسيَّة للأفكار السائدة في المجتمع ، والتي تمارسُ دوراً طليعياً في ضبطِ القيم ، والمُمارسات الاجتماعيَّة وتسعى لتطويرها وتجديدها ؛ داخل أُطر عقلانيَّة وعمليَّة مُتماسكة في إطارٍ نقديٍّ وتؤمن بالإختلاف ، وتقرّ بالمُغايرة وتعدد المنظُورات والإختيارات ،

وتتفاعل مع الوقائع الجديدة استناداً الى رؤيةٍ مُتنوّعةٍ تقوم على النقدِ والتواصلِ والتفاعل(١٢) . وعليه فإنَّ خطابَ المُبرِّد النقدي يندرجُ تحت مُسمَّى النُّخبويَّة الثقافية التي تحاول إعادة تشكيل مجموعةٍ من القيمِ الثقافيةِ الفوقيَّةِ في صياغاتٍ جديدةٍ تنبعثُ منها ومْضات من الإنارة الايديولوجية الساعيَّةِ لمُغايرة بعض ملامح قيم الثوابتِ السائدة . وتشكلتْ النُّخبويَّةُ في خطابِ المُبرِّد عبر مرجعياتٍ معرفيَّة ؛ مع غلبة الطابع الأدبي واللُّغوي ؛ فهو خطابُ يتضمَّن مزايا الأدبيات والصياغات الجميلةِ الكفيلةِ بنشاط عمليَّة التأثيرِ في المُتلقي ؛ ولا سيما أنَّه خطابُ مُلتصقُ بالغاية التعليميَّةِ التي تتطلب من صاحبِ الخطاب مُضاعفةِ الجهود العلميَّة ؛ وزيادة قنوات المعرفةِ وأساليب تقديمها وعرضِها بُغية ترسيخ مبادىء التعديل والإضافة وما إلى ذلك ، وعلى هامش هذا المُحتوى امتاز الخطاب النُّخبوي عند المُبرِّد بالآتي :

١ – تشاكلتْ نُخبويَّة المُثقفِ مع نُخبويَّةِ السلطة المؤسساتيَّةِ عبر تنامي صعيد الحركةِ العلميَّةِ وما رافقها من أنشطة الأبداعِ والتأليفِ والترجمةِ وغيرها . وباجمال هذا التشاكُلِ والترابطِ تأسَّس منظُور ازدواجية الإنبناء القائمِ على الصراعِ المُفضي الى رجحانِ كفَّةِ المؤسَّسةِ على الخطابِ الجماعي .

٢ – لا يُمكن للذاتين الفرديَّةِ والجماعيَّةِ الإنقلاب على شرعيَّةِ الأنساقِ الثقافيةِ إلاّ في نطاقِ ماهو جزئي لا يرتقي الى مُستوى التغيير الجذري ؛ وهذا يعني قدرة الأنساقِ على إرخاءِ الحبل للمُتغيّرات شرط أنْ تصبَّ في نهايةِ المطاف بمصلحتها . ولهذا فإنَّ نخبويَّةَ المُبرِّد في خطابه جاءت مُنساقةً لخيارات تلك الأنساق .

٣ – مثَّلت التراكمات الثقافيةِ صعيداً آخراً لنُخبويَّة المُثقفِ المُهادنةِ للنخبويَّةِ المؤسساتيَّة ؛ ويتضح ذلك عبر رصيد المُبرِّد من الثقافةِ العربيَّةِ الأصيلةِ التي تشرَّب منها ؛ فسياسة خطابه لم تخرج عن سياسةِ سابقيه من المُثقفين الأدباء والمفكرين والنقاد ؛ واساتذته الذين تتلمذ على أيديهم ؛ فثقافة " المُبرِّد العربيَّة ظلت هي الغالبة عليه ، فشيوخه ذوو الأثر فيه جميعهم من ذوي الثقافةِ العربيَّةِ الإسلامية . لذا كان موقفه لا يختلف عن موقفِ سلفهِ وشيخه المازني من قضايا اللغة وقواعدها التي تدور حول الفصيحة " (١٣) . وهذا هو ما تريدهُ الأنساق من حيث انضواء المُبرِّد تحت عباءةِ سابقيه والركون إلى هديهم وإشاراتهم .

وعلى صعيدٍ متَّصلٍ بالإنتماءِ للثقافةِ العربيَّة ؛ ودور المُثقفين السابقين وأثرهم في خطابِ المُبرِّد ؛ جاءت الخيارات لتُعلن الطابع العام في خطابه والمُمثَّل بالاختيارات ونمط انتقاء الأجدر منها لرفعِ كفاءة الإستزادة المعرفيَّةِ للمُتلقين . وذلك من خلال الإتكاء على المُهادنةِ والمُلاحظةِ والإستقراء السطحي . وعليه كانت خطاباتُ تلك الحُقب مُتشابهةً في ستراتيجيتها من حيث اختيار ما يُناسب الموضُوعات من أمثلةٍ مُنوَّعةٍ مُنتميَّةٍ إلى مجالات العُلوم المُختلفة ، ولا سيما ما يتعلق في ميدان عُلوم العربيَّةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ والنقديَّة . واستناداً الى هذا التيار سنقدِّم ملامح تلك الاختيارات ودورها في نماءِ الذائقةِ العربيَّة ؛ ليتماشى ذلك مع فحوى الثقافةِ العربيَّة التي أخذ منها المُبرِّد وغيره ، وتتضح الملامح بالآتي :

١ – إتَّجه مسارُ الاختيارات نحو مضان القبول والرضا ؛ وذلك بعد تشخيص تلك الاختيارات ومحاورتِها وشرحها وتحليلها ؛ وهذا يتطلبُ سِعةً معلوماتيَّةً تنشأ بعد امتصاص جرعاتٍ من المعارفِ التي تُغذِّيها الشخصيات ، لذا فخطابُ المُبرِّد في مجال هذه الاختيارات استند إلى مصادر نقليَّة قوامها " الرواية عن الشيوخ أو الكتب مما دفعهُ إلى الإعتماد على القياس وجعله حاكماً " (١٤) . وهذا يعني أنَّ ما يترتب بعد ذلك من قضايا ومفاهيم راجع إلى حُكم تلك الرواياتِ والتفاعلِ معها بصيغةٍ توافقيَّةٍ في أكثر الأحيان .

٢ – إتَّسمتْ روايته للشواهدِ والنصوص المُختارةِ بعد الإفادة من آراء سابقيه من شيوخ وعلماء ورواة وغيرهم بالمنهجيَّةِ والتوثيق ؛ من خلال التدقيق والتمحيص واجراء عمليات المُوازنة ؛ ومن ثمَّة إبداء الرأي وإصدار الحُكم بالأهميَّة من عدمها .

٣ – نسقُ الاختيارات في خطابِ المُبرِّد النقديّ لم يختلف عن توجُّه النسق الثقافي الباعثِ للحُمولات الدلاليَّةِ الفكريَّة ؛ من حيث الإلتزام بمبادىء الأجناسية والانضباط بقوانينها ؛ ففكرة الأجناس قد سيطرت على خطابِ المُبرِّد ودفعتهُ لتقسيم الأدب على شعرٍ ونثر ؛ وما يلحقهما من أنواعٍ وفنون ؛ وهو تقسيمُ مغروسُ في عمق الماضي لأدبيات الثقافةِ العربيَّة . فضلاً عن ما يتصل بالإتجاهين الموضوعي والفني وما ينضوي تحت لواءيهما من أفكارٍ وتقسيماتٍ وآراءٍ مُؤيِّدةٍ وأُخرى غير مؤيِّدة .

٤ – إتَّجهت اختياراتهُ نحو تغليب النزعة الإنسانيَّة وإعلاء شأنها وأخذ فرصتها بالظهور؛ ويتضح ذلك جلياً من خلال الكم الهائلِ من الشواهدِ المعروضةِ المُقدَّمةِ للقارىء والمُتَّسمة في الوقت نفسه بالتَّنوعِ وشموليَّة مُحتواها .

٥ – لم تكن النزعةُ الأدبيَّة واللُّغويَّة غائبةً عن الحضور في خطابه ؛ بل جاءت رديفةً للنزعةِ الإنسانية ما دام الخطابُ كُلَّه مؤطَّراً بالغايةِ التعليميَّة . وتمثلت الأدبيَّة واللُّغويَّة بالإهتمام بالنصوصِ ومُعالجتها وتدعيمها بنصوصٍ أُخرى مُعضِّدة لها لتكون الفائدةُ أعم وأكبر ؛ بعد جعل قائل تلك النصوص في المرتبةِ الثانيَّةِ من الأهميَّة . وهذا ما يشبه فلسفة الحداثةِ من حيث الإهتمام بادبيات النصِ على حساب قائله .

٦ – إتَّسمت اختياراته بسمةِ القطعِ واختزالِ المعلومةِ لتتماشى مع الفكرِ المُهيمن في الثقافة آنذاك ؛ لهذا وجدناهُ يعرض ما يراهُ مناسباً كي لا يتعرَّض للمُساءلةِ ولاسيما في الموضوعات التي لها صِلةُ بأمور الدينِ والشخصيَّات المُهمَّة . فعلى سبيل المثال نراهُ قد حذف الأبيات التي تذم سيدنا الأمام علي (كرَّم الله وجهه) من قصيدة كعب بن جُعيل ؛ وأعلن ذلك صراحةً بقوله : " وفي آخر هذا الشعر ذمّ لعليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) أمسكنا عنه " (١٥) .

وبحسبِ القضايا والاتجاهات التي سلكها خطابُ المُبرِّد النقدي من حيث مُجابهة سلطة المؤسَّسة بادوات سُلطة المُثقفِ الساعية للتغيير؛ ينبغي علينا القول : إنّ صراع الإرادة بشأن تحقيق الأهداف يتطلبُ منهجيةً ثابتةً تعمل على تعبيد الطُرق الوعرة التي تأتي أمامها ؛ ومُحاولة إيجاد البدائل الضروريَّة لضمانِ الوصولِ إلى الغاياتِ المرسومة . وعليه فإنَّ المُبرِّد اتكأ في خطابهِ على منهج القياس الذي خدمه كثيراً في فرزنةِ النصوصِ واستجلاءِ النافعِ والساقطِ منها ؛ وقد أشار زهير غازي زاهد إلى إنَّ هذا المنهج كان سمةً ظاهرةً في القرن الثالث الهجري وقد استند إليه المُبرِّد ؛ وهذا واضحُ في قوله : " حتى إذا وصلنا الى القرن الثالث نجدُ القياس هو الأقوى والأوسع في النحو ؛ وقد برع فيه المُبرِّد وطبعه بطابعه الثقافي ووسمه بخصائصه العلمية ؛ إذ كان يجمع بين علم النحو وأصوله والبراعةِ في الأدب والإطلاع على شعر عصره ومشاركتهِ في الحكم على ما كان يصطرع في عصره من خلاف بين الشعراء والحكم على لغة الشعر وجمالياتها " (١٦) . كما أشار في موضعٍ آخر إلى أنَّ المُبرِّد قد وضح لديه عنصر ثقافي وهو الثقافة المنطقيَّة التي جعلت القياس لديه يتصفُ بالسماعِ الصحيح والاطراد ؛ فضلاً عن موافقة الأصلِ أي ضرورة رد الأشياء إلى أصولها الأولى ؛ وبهاتين الصفتين أصبح القياسُ لدى المُبرِّد حكماً في قبول النصوص وكلام العرب(١٧) . وفي ضوء هذا النهجِ وجدنا أنَّ المُبرِّد استخدم منهج القياس ليكون مفتاحاً يدخل به عوالم ثقافيَّة وفكريَّة جديدة تختلفُ في رؤاها عن تلك العوالمِ السائدةِ عبر تراكمات الماضي بفعل النسق المُضمر ؛

وقد نجح في كثيرٍ من المفاصل التي سنُسلط الضوء عليها ضِمن الهيمنةِ الفرديَّة ، ولكنه على صعيدِ الهيمنةِ المؤسساتيَّةِ نجح تارةً وأخفق تارةً أُخرى ، أي لا يستطيع التحرُّرَ من كلِّ القيود المُتغلغلةِ في البُنى الفكريَّة والمعرفيَّة . فالبُنى التي تبلورتْ في العنونة ؛ ونخبويَّة المُثقف ، ومسار الاختيارات ، كلّها إفرازات نجحتْ في جانبٍ وأخفقت في جوانب أخرى ، لانَّ آثار تيار المركزيَّةِ ما زالت نابضةً بالحيويَّة ؛ وهي التي تجعل برامج القصديَّةِ وشعاراتِ الولاءِ مُضيئةً على الدوام ، مما يُولِّد ذلك شعوراً بالتنحي عن فكرةِ التجاوزِ أو المُجابهة .

المبحثُ الثاني : هيمنةُ النسق الفردي

لا تستطيعُ الثقافةُ أنْ تكون فاعلةً ومؤثرةً ومُحدثة الأثر المنشود في المُجتمعاتِ وأفرادها ؛ ما لم تمتلىء بحُمولاتٍ دلاليَّةٍ مُتشعِّبة ؛ مُهمتها تغذية العقول المُثقفة التي ترى فيها وجهاً آخراً للإستمرارِ في إجراءِ التطورات والتحوُّلات التي من خلالها تصبحُ الثقافةُ عُنصراً مُهماً لا ينبغي تجاوزه بأيّ شكلٍ من الأشكال ؛ وبحسبِ هذه المُهمَّة تكون الثقافةُ حاضنةً رياديَّةً تضمُ بين طيَّاتها التعدُّديَّةِ الفكريَّةِ والفلسفيَّةِ والعلميَّة ؛ إلى

جانبِ شبكة منهجيات مُتراصَّة تعمل على خلقِ جبهاتٍ مُتنافرةٍ تؤول إلى صِدام يخدمُ الثقافة في نهاية المطاف ؛ لانَّ التنوّر الثقافيَّ يتأتَّى من خلال جدليَّةِ الهدمِ والبناءِ لتعزيز الرصيد المعرفي على مُختلفِ الصُعد . وفي ضوء هذه الومْضة ترسبت في الأذهان مفاهيم الهيمنةِ السياديَّةِ والايديولوجيات المعرفيَّةِ التي تُمارسها الأنظمةُ المؤسساتيَّة من جهة ، ومُحاولة إعطاء الهيمنةِ الفرديَّةِ السبق في مواجهةِ الهيمنةِ السياديَّةِ في ظلِّ آلياتٍ خاصَّةٍ من جهةٍ ثانية .

تحاولُ الذاتُ الفرديَّة تحقيق رغباتها عن طريق كشفِ ألاعيب أنظمة الهيمنةِ المؤسساتيَّةِ وما أحدثته من تدجين للعقُولِ والأفكار لازمانٍ مُتعاقبة ؛ وبناء شبكة مفاهيم مُتواشجة جديدة تخدم جيلاً يطمح للتغيير ومُواكبة التطورات المُتسارعة في شتى الاتجاهات . وهذا فعل يتطلبُ التنوّر والعقلانية المُفضية إلى بناءِ هويَّةٍ ثقافيَّةٍ سليمةٍ متينةٍ لا سطحيَّةٍ هامشيَّة ، لهذا نجدُ أنَّ المُفكر الإيطالي (أنطونيو غرامشي) اعتمد على معايير توسِّع مفهوم المُثقفين ؛ وتوصل إلى " أنَّ كلَّ إنسانٍ هو إنسان مُثقف ، ولكن ليس لكلِّ إنسان في المجتمع وظيفة المُثقف " (١٨) . وهذا يعني أنَّ سعي الذات الفرديَّة ينبغي أنْ يكون مُوجّهاً نحو تحقيق الوظائفِ الثقافيةِ البديلةِ عن وظائفِ الثقافةِ المُستبدّة . فالأنساقُ الثقافية بما تحملهُ من دعائم الحركةِ والإختزالِ والعزل ؛ تحاولُ جاهدةً قطع قنوات الثورات الفرديَّة ؛ واصطياد ما يُناسبها وبثّ القيمِ المعرفيَّةِ وترغيبها بالأساليبِ والتكرار والإفاضة ، لتصبح بذلك الذات " في النسقِ مفتَّتة ؛ لا تعي هويتها الفرديَّة ، لانَّها في أثناء بحثها عن هويتها الفرديَّة تصطدمُ بشبكةِ الأُطر والمعارف الجماعيَّة ؛ فتتأرجح بين الإنتماء إلى النسق ، أو الإنتماء إلى الذات ، أو بين الإنتماء الجماعي بوصفه ملاذاً أو مأوى ، أو اعتناق الفكر الخصوصي الفردي الذي يكون فيه الشخص مسؤولاً عن اختياراته ، فضلاً عن الطموحاتِ الفرديَّة للذات وطموحات الجماعة . كل هذه المستويات تتداخل وتتشابك ؛ ويؤدي ذلك إلى انشطار الذاتِ على نفسها ؛ موزعة في انتماءاتها ، لانَّ النسقَ يُمارس فاعليته كحجابٍ اجتماعي يحول دون وعي الذات بهويتها ، ومن ثم عدم وعيها بالأنساق(١٩)

ولذلك تكون مُهمَّة الذات الفرديَّةِ محفوفةً بالمخاطرِ والإشكالات لتداخل المُستويات في الثقافات المُختلفة ؛ وهذه الإشكالات تدفع باتجاه تحديد الآليات التي تضمن اختراقَ القيمِ السائدةِ وهدم القديم ونفيه ؛ وإعادة بنائه بصيغةٍ توافقيَّةٍ تؤمّن لنفسها ديمومة المُواصلة ، ولا يُكتبُ النجاح لهذه المُهمَّة إلاّ في حال التسلُّح بقراءةِ الواقع قراءة واعية تُسجل مُدخلات الثقافةِ ومُخرجاتها وحيلها الجماليَّة والفكريَّة التي انطلقت منها لوُدِ كلّ النشاطاتِ الفرديَّةِ بتعاقُبيةٍ مُستمرة . ومن خلال ذلك كُلّه تبدأ الأنماط والأساليب الكتابيَّة والقرائيَّة بالتبدل تبعاً لتبدُّل الوعي الفكري ؛ إذ " تشكِّل القراءة بالنسبة للنقاد ، الأدباء ، الكتاب ، ولادة نمطٍ جديدٍ من الكتابة ، ونمطٍ جديدٍ من القراءة ، تقوم أساساً على عملية نفي مُستمرة لما هو قائم ، للوصولِ الى ذاتٍ إيجابية . كاتب إيجابي وقارىء إيجابي . ذلك أنَّه إذا كان العمل الأدبي انتاجاً مُتميزاً ؛ فإنَّ القراءةَ أيضاً إنتاجُ مُتميز ؛ فالقراءةُ الواعية إنتاج للنص وللقارىء ، أي أنَّ الكتابة إنتاجُ والقراءة إنتاج ، وكلاهما يحتاج إلى جهدٍ مُتميز " (٢٠) .

وتأسيساً على ما عُرض نجد أنَّ المُبرّد قد تعاملَ مع هذه الإشكاليَّة بطُرقٍ مُختلفةٍ مُنتميةٍ إلى مرجعيَّةٍ تاريخيَّةٍ وفلسفيَّةٍ رفدتها بما يُناسبها ؛ بُغية تشكيل شبكة مفاهيميَّة مُغايرة لتلك التي بثَّتها السلطة المؤسساتيَّة بتعاقُبٍ عبر الأزمان . ولكي تتضح صورة الحِراك المُغنيةِ التي انطلق منها المُبرّد لقلبِ هرم الثوابتِ السائدة ؛ وايجاد بديلٍ يُنافسه ؛

ينبغي علينا تحديد مسارين مهمَّين مُنبثقين من حالةِ الصِراعِ الدائرةِ بين الهيمنتين الفرديَّةِ والمؤسساتيَّة ؛ لمعرفة أيّ من المسارين قد سلكهُ المُبرِّد في خطابه . وهذان المساران هُما :

١ – تنطلقُ الهيمنةُ الفرديَّة من فكرةِ التنوّر العقلاني والنهضةِ المدروسة ؛ أي فرصة التحرُّر من تراكمات السلطةِ الفوقيَّةِ لا عن طريق المُجادلةِ والمُعارضةِ والرصدِ والصراع ؛ بل عن طريق اعتبار الماضي وكلّ ما يتصل به من أفكارٍ مرجعيَّةٍ شيء قابل للتغيير . إذ أنَّ " التنوير في الخِطاب الثقافيّ العربي يُشير تحديداً إلى ذلك النمط من التفكيرِ والبحثِ المُقترن بالعقلِ والعقلانية " (٢١) .

٢ – كما تنطلقُ الهيمنةُ الفرديَّة في صِراعها مع الهيمنةِ المؤسساتيَّةِ من فكرةِ التمرُّدِ والثوريَّة الطامحةِ لإزاحة ترسُبات القيمِ الفكريَّةِ التي تبلورت ونمتْ وارتكزت ؛ ويتحقق لها ما تصبو إليه بعد استخدام طُرق المُجادلةِ والمُعارضةِ والرصدِ وما نحو ذلك .

ويتمثلُ الهدفُ في المسارين باجراءِ سلسلةٍ من الإصلاحات في منظومةِ القيمِ الجماعيَّة ؛ والإبتداءِ بتوعيةِ المُنتمين لها بضرورةِ الإنفتاح على التجديدِ البنَّاء الذي يتسمُ بالأهليَّة ؛ وتحفيزهم على مُساءلةِ كلّ ما يستحق المُساءلةِ للوصولِ الى نُقطةِ تغييرٍ مقبولة . وفي مجالٍ لا يقبلُ الطعن والشكّ تبرز ملامح اتكاء خطاب المُبرِّد النقدي على المسارين معاً ؛ إيماناً منه بمُجابهةِ المدِّ السلطوي الفوقي ؛ ورغبتهُ في نشرِ مُعطياتِ الثوريَّةِ والعقلانيَّةِ مُجتمعة ؛ لإحداث النقلة النوعيَّة في وعي السلوك الجماهيري . وبناءً على ذلك حمل النسقُ الفردي أنماطاً مُخاتلةً سعت لإبراز هويَّة خطاب المُبرِّد بهيئةٍ تكاد تكون مُلبسةً وغامضة . لذا سنعرضُ مجموعةً من هذه الأنماط بحسب أهميتها وحجم تأثيرها . إنّ أوَّلَ نمطٍ رصدناه هو اعتزاز المُبرِّد بقيم ماضيه ؛ وانتمائهِ لبيئةٍ صقلت له مواهبهُ وهذَّبتها ؛ إذ أنَّ لجوءه الى ترسيخِ مبدأ الحشدِ المعرفيّ والثقافي ؛ وتوسيع مُستوى الإستلال من المُحتوى الأدبي واللُّغوي رُبَّما يرجع الى غيرتهِ على أُمَّته العربيَّة ؛ ففي زمنه بدأت الأمورُ تسوء على مُستوى اللُّغة ؛ بسبب شيوع اللَّحن واختلاطِ اللَّهجاتِ وهُجنة العُلوم وتداخلها مع بعضها ؛ كُلّ ذلك قد يكون سبباً دفعه إلى مُراجعةِ حساباته القوميَّة ؛ وتعزيز أرصد الإنتماءِ للأرضِ والفكر ؛ لهذا كان الكمُ الهائل من المعارفِ والمعلوماتِ كفيلاً بإعادة المياه إلى منابعها الأولى ؛ وهي هنا الإعتزاز باللُّغة العربيَّة . وهذا نابعٌ من الفكرِ التنويري العقلاني المُتضمّن لسلاح الإعتزازِ بالحضارة ، ومُحاولة المُحافظة على مُنجزاتها عبر تكريس قنوات الرصدِ والفحص ، ومنْ ثمَّة إثبات المُتغيّرات بما يتناسب مع حجمِ الرصيد المعرفي .

وباتجاهِ مكامن النزعةِ القصديَّةِ المُتخفّية خلف كواليس التعمية ؛ تتكشفُ لنا نبرة التعالي في خِطاب المُبرِّد ؛ من خلال كثرةِ الموضوعاتِ التي طرق بابها من جهة ؛ ورفدها بالشواهدِ والنصوصِ الكثيرة لكي تُغني وتُفيد من جهةٍ ثانية . فهذه دلالةٌ إشاريَّةٌ تُومىء بثقلِ مركز الخطابِ وصلابةِ أركانه ؛ واشغاله حيزاً كبيراً يمتدُ على مساحةِ الكتابِ كُلِّه . ولسعةِ خطاب الإختراق والتعالي نعرضُ جُملةً ثقافيَّةً (*) واحدةً نستدلُ من خلالها على طُغيانِ هذا الطابع بدلالتهِ النسقيَّة ؛ فالمُبرِّد يقولُ في أحد أبوابِ كتابه : " نذكرُ في هذا الباب من كُلّ شيءٍ شيئاً ؛ لتكون فيه استراحة للقارىء ، وانتقال ينفي الملل ، لحُسن موقعِ الإستطراف ، ونخلط ما فيه من الجدِّ بشيءٍ يسيرٍ من الهزل ، ليستريح إليه القلب ، وتسكن اليه النفس " (٢٢) . فهذا نصٌّ فيه نسقٌ فردي مُضمر؛ فعلى مُستوى الدلالتين الصريحةِ والضمنيَّةِ نلمسُ برنامج الإنتقال الذي يسعى إلى عرضه المُبرِّد ؛ من خلالِ مزج الجدِّ بالهزلِ لإراحة القلوب ؛ نتيجة كم المعلومات التي وظفها لخدمةِ المُتلقي ؛ ولكن على مُستوى الإضمار نلمسُ بروز الدلالة النسقيَّةِ التي تحملُ الآتي :

١ – الخبرةُ المعرفيَّة الدالةِ على التنوُّع والإفاضةِ والإنتقاءِ السليم بدلالةِ (نذكرُ في هذا الباب من كُلِّ شيءٍ شيئاً) . ولكي تكون الخِبرةُ مُستحسنةً ومقبولةً حاول خطابهُ استمالة المُتلقينِ عن طريقِ المادةِ المُقدَّمةِ التي جاءت موشَّحةً بالإستطرافِ الباعثِ للراحة .

٢ – تضمَّنت الدلالةُ النسقيَّة محور التتابع الأسلوبي الذي يجعلَ النصَ وحدةً عضويَّةً مُتكاملةً ؛ إذ أنَّ المُتواليات الجُمليَّة تكون على قدرٍ يُشابه المُتواليات المعرفيَّة .

٣ – رُبَّما يكون التأثّر بمن سبق حاضراً في هذه الدلالة ؛ وهنا إشارةٌ إلى تقليدِ منهجِ الجاحظ في كتابهِ البيان والتبيين القائمِ على مزجِ الجدِّ بالهزل ؛ لتخليص المُتلقِّين من ثُقلِ المعارفِ المُهمَّة وحجم تنوعها .

وفي ميدانٍ مُتصلٍ ببلوغِ النبرةِ المُتعاليةِ ذروتها تبرزُ فكرة الطبقةِ المُثقَّفة وما تحملهُ من علاماتٍ نُخبويَّة . والطبقةُ تعني " أنَّ جماعةً لها سمةٌ واحدةٌ على الأقل مُشتركة ، كما أنَّ المُصطلح يستخدم على نحوٍ شائع في النقدِ الثقافي " (٢٣) ؛ فخطابُ المُبرِّد المُتأثِّر بتيارِ الطبقةِ الثقافيَّةِ الجماعيَّةِ لم يكتف ببثّ مديات خبرتهِ الثقافيَّةِ المُمثلة بالحشدِ الهائلِ للشواهدِ والنصوصِ وتمييزها وشرحها فحسب ؛ وإنَّما راح ينشرُ مُعطيات إشاريَّة تُبيّن نُخبويّته في الإنتقاءِ والعرضِ بل وحتى الحكم على بعضها .

ولإيضاحِ خطاب الطبقة المُثقَّفة الذي سار عليه المُبرِّد بحسب توجهاتهِ وانطباعاتهِ الفرديَّة لا بأس من عرض أمثلةٍ نستدلُ من خلالها على هذا الميدان . ولكثرتها سنعرض ثلاثةَ أمثلة قصيرة ونختزلها بتحليلٍ واحدٍ إلى جانب مثالٍ آخر . ومن ذلك قول المُبرِّد : " وهذا في بابِ المدحِ حَسنُ ومتجاوزُ ومُبتدعُ لم يُسبقْ إليه " (٢٤) . وقال كذلك : " ومثلُ هذا لو تقدَّم لكان في صدورِ الأمثال " (٢٥) . وقال في موضعٍ آخر : " وأشعارُ الحطيئة في هذا الباب كثيرة ، ولولا أنَّها معروفةُ مشهورةُ لأتينا على آخرها ، ولكنّا نذكُرُ منها شيئاً مُختاراً " (٢٦) . إنّ الجمل الثقافيَّة في هذه الأمثلة ترشدنا إلى قيمةِ الدلالات النسقيَّة المُتخفِّية التي تُومض بوجودِ خطابٍ نُخبويٍّ مُثقفٍ راصدٍ للمعارفِ المُنتميةِ للماضي والحاضر معاً ؛ فجملةُ (لم يسبق إليه أحد) تدلُ على تمكُّن صاحب الخطابِ من بابِ المدح ؛ رُبَّما من حيث الحفظِ والإستقراءِ والإحصاء ؛ وعليه قرر بان لا أحد يسبق فكرة أبيات (نُصيب) . وفي المثالِ الثاني دلالةُ مُشابهة لما في المثالِ الأوَّل ؛ فابياتُ أبي نؤاس التي أُعجب بها دفعتهُ لانْ يُدلي بدلوٍ تنفردُ منه علامات الثقافةِ المُتناميةِ والمُترامية الأطراف ؛ فاعجابه بالأبياتِ والحكم عليها جاء نتيجة التراكم المعرفي الذي يمتلكهُ في هذا المجال ؛ وستكون الأبياتُ بذلك على رأسِ ما يُشابهها . والحال نفسها في المثالِ الثالث الذي يدلُ على سِعة الثقافةِ التي يمتلكها المُبرِّد بشأن شعر الحُطيئة ؛ ولهذا اكتفى بالإختيار منه مع علمه بجميع شعره .

وفي مثالٍ آخرٍ نجدُ تكرار مراسيم الخطاب المُثقَّف مع تعالي نبرة الغُلو في المعرفة ؛ وهذا واضحُ في قوله : " وقد اعترض مُعترضُ من الجهلةِ المُلحدين في هذه الآية ؛ فقال : إنَّما يُمثِّلُ الغائبُ بالحاضر ، ورؤوس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل ؛ فهؤلاء في هذا القول كما قال الله جلّ وعزّ : (بل كَذَّبُوا بِما لمْ يُحيطُوا بعلمِه ولمَّا يأتِهِم تأويلُهُ) حيونس:٣٩> . وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين : احدهما ... والقول الآخرُ – وهو الذي يسبقُ الى القلب " (٢٧) ، فالجملةُ الثقافيَّة تكشف الدلالةَ النسقيَّةَ المُضمرةِ المُمثَّلة بخطابِ التحدي والمعرفةِ المُفرطةِ في هذا الجانب ؛ لانَّ فهم الآياتِ ليس بالأمر الهيّن أو السهل ؛ وهو يحتاجُ إلى سلسلةٍ مُتواصلةٍ من القراءاتِ لتكون الغاياتُ صحيحةً ومُرضية . ولم يكتف بالخبرةِ في هذا المِضمار بل راحَ يتعالى على القائلين المُفسِّرين للآيةِ الكريمة ووصفهم بالجهلةِ المُلحدين الذين لا يفقهون مثلما يفقه هو ؛

وقد عززَ من رصيدِ معرفتهِ عندما تناغمت أفكارهُ مع التفسير الثاني ووصفه بانه (هو الذي يسبقُ إلى القلب) . ورُبَّما هنا إشارة الى عددٍ من الفِرقِ والمذاهبِ التي سكنت تحت عباءةِ التيْه والتخفّي .

ومن خلالِ هذه الأمثلةِ إتضح لنا في ميدانِ خطابِ الثقافةِ النُّخبويَّةِ ملمحانِ هما :

١ – القراءةُ المُتأنّية والواعية التي تميَّز بها المُبرّد ؛ والتي تمثلتْ بالعقلانيَّةِ تارة والثوريَّةِ المُتمرّدةِ تارة أُخرى ، فالعقلانيَّة دفعتهُ نحو قراءةِ التراثِ الماضي والحاضر معاً قراءة راكزة جعلتهُ يُجري مُوازنات عامة بينهما لاستجلاءِ مكامنَ التميُّز والنجاح ؛ والثوريَّة دفعتهُ نحو عدم التسليمِ بالأفكارِ حتى وإن كانت سياديَّةً رياديَّة ؛ والعمل على مُلاحقةِ الغثِّ والسمينِ منها بطُرق المُجادلةِ والمُعارضةِ للوصولِ إلى الحقائقِ المُستحسنة .

٢ – على الرغمِ من الفرديَّةِ المُطلقةِ التي اتشح به خطابه ؛ وما نتج عنها من آراءٍ مبنيَّةٍ على الإستقراءِ والإستجلاءِ المُمنهج ؛ فضلاً عن المُجادلةِ والمُعارضة ؛ فإنَّ حظوةَ الرؤية الجماعيَّةِ ما زالت ساريةَ المفعول ولو على مساحةٍ ضيّقة . فالنتائجُ التي توصل إليها تحملُ أبعاداً لتراكمات الماضي ؛ أو اشاراتِ العلماء ؛ وهلمَّ جراً . كما سلك خطابُ المُبرّد النقديّ طريق إطلاقِ الأحكامِ من منظارٍ ذاتيٍّ غير مُتأثرٍ بالنسقِ الثقافيّ الجماعي ؛ وتأرجحت الأحكامُ بين الذوقيَّةِ والموضوعيَّةِ مع رجحانِ كِفَّة الموضوعيَّة على نحوٍ لافتٍ للنظر . لذا فالخوض في هذا الطريق يكون من زاويتين : الأولى تخصُّ التنوّر العقلاني ، والثانية تخصُّ التمرُّد والمُعارضة . ففيما يتعلق بالتنور والضابط العقلاني نلمسُ تعاطف المُبرّد مع الشعرِ والشعراءِ وعلى النحو الآتي :

١ – شكَّلت رؤيتهُ للشعرِ مُنعطفاً مُميَّزاً أُضيف لرؤيتهِ اللُّغويَّة ؛ لانَّها رؤيةٌ جاءت بمفاهيم تختلفُ عن تلك التي كانت سائدة ؛ ولاسيما بعد مُمازجتها وتدعيمها بنمطٍ لغوي . وانفتاحها على معالجةِ قضايا مُهمَّة في حُقبةِ المُبرّد ؛ منها قضيَّةُ الصراعِ بين القديمِ والحديث ، واللَّفظ والمعنى ، والسرقات الشعرية . ومن ذلك نذكرُ ميله للشعر الذي فيه فائدة إذ قال : " وهذا من طريفِ الشعر لانَّه ممدودُ ، فهو بالمدِّ الذي فيه من عروض السريع الأولى " (٢٨) . وقال في موضعٍ آخر : " وأحسنُ الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبّه ، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ، ونبّه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره ، وساقه برصفٍ قويٍّ واختصار قريب(٢٩) . ففي المثالين – وغيرهما كثير – تتبلورُ أحكامُ نقديَّةُ مبنيَّةُ على أُسسٍ موضوعيَّةٍ ودرايةٍ مُستبصرة ، ونابعةُ من سِعة التراكمات المعرفيَّةِ التي يتمتعُ بها المُبرّد ؛ فالشعرُ عنده يجب أنْ يكون مُوجَّهاً وواضحاً ومُستملحاً وطريفاً حتى يكون مقبولاً ويدخل إلى القلوبِ دونما استئذان ؛ ولكن مع مُراعاةِ الجودةِ في استخدام الأساليبِ والصياغاتِ التركيبيَّةِ واللُّغةِ الشعريَّة التي تجعل الشعرَ مُتعالياً على الأجناسِ الأُخرى .

وهكذا دواليك من الأحكامِ التي تخصّ طبيعة الشعر وموضوعاته وأغراضهِ وأساليب عرضهِ ونتاجه .ومن القضايا التي عالجها المُبرّد في خطابهِ قضيَّة الصراع بين القديمِ والحديث التي تخصُّ شأن الجيدِ من الشعر ؛ وهي قضيَّةُ شغلت النقاد كثيراً ووضعوا لها المعايير والأُسس التي يجب أنْ تكون الفيصل في المُفاضلة . ولكنَّ مُعالجة المُبرّد جاءت من بابِ احترام الشعر الذي يكون جيداً في مُحتواه ؛ من غيرِ الإهتمامِ بالمعيارِ الزمني الذي يضمنُ للقديمِ التقدُّم على الحديث . وقد وردت إشاراتُ كثيرةُ في خطابِ المُبرّد نتبيَّن من خلالها الوسطيَّة التي سار عليها ؛ وهذا يتضحُ عبر إيراد أشعار القُدماءِ والمُحدثين ؛ ووصفه لقيمةِ الشعر الحديث ، ومن ذلك أنَّه قال : " هذه أشعارُ إخترناها من أشعارِ المولَّدين حكيمة مُستحسنة يُحتاجُ إليها للتمثُّل ، لانّها أشكل بالدهر، ويُستعار من ألفاظها في المُخاطبات والخُطب والكتب" (٣٠). وقوله كذلك : " ومما استطرفنا من شعر المُحدثين قول يعقوب بن الربيع في جاريةٍ طالبها سبع سنين " (٣١). وقد صرَّح بمقياسِ الجودةِ وذلك بقوله :

" وليس لقدم العهد يفضّل القائل ، ولا لحدثان عهدٍ يُهتضمُ المُصيبُ ، ولكن يعطى كلُّ ما يستحقُّ " (٣٢). ففي هذه الأمثة إرادةُ علنيَّةٌ من المُبرّد لاعطاءِ الشعر المُحدث فرصة الظهورِ والحضور في الإستشهاد؛ ورفد الموضوعاتِ البلاغيَّةِ والنقديَّة لتعزيز مفاهيمها وترغيبها لدى المُتلقي. وهذا يعني قبوله حركة الشعرِ المُعاصر؛ فهو لم يهمل" عصره ليتعلَّق بالقديمِ فقط . لذا كانت له نظراتُ ووقفاتُ نقديَّةُ وبلاغيَّةُ شاركت في تطويرِ النقدِ والبلاغة ، فهو من اللُّغويين القلائل الذين قبلوا الشعر المُحدث مراعين العصر، وقد رأينا كيف يتخذه مادةً في تدريسه مُتعهّداً إيَّاه بالشرحِ والتعليل ، كما أدخلهُ في مصنفاته إلى جانبِ الشعرِ القديم . لقد كان رأيه في هذا الشعر المُعاصر له رأياً لغوياً واعياً لأساليب الكلام ؛ قابلاً تطور الشعر وأساليبه ولغته لارتباط ذلك بتغيّر العصر ؛ وهذا الشعر يُشاكل عصره" (٣٣). ولكن ما يُؤخذ عليه أنَّه جعل الشعرَ المُحدث قاصراً على مدارِ البلاغةِ والمعاني ؛ ولم يستشهد به في إطار علم النحو كما فعل اللُّغويون الآخرون قبله ؛ وهذا يعني العودة إلى هيمنةِ الطبقةِ الجماعيَّةِ المُهادنةِ لانظمةِ السلطةِ المؤسساتيَّة . وقد أشار إلى هذه المسألة زهير غازي بقوله : " فالمُبرّد كما ذكرت تقبّل الشعر المُحدث وأدخلهُ في درسهِ ومُصنَّفاته . لكنَّه لم يُدخله ضمن الإستشهاد النحوي ؛ إذ بقي على مذهبهِ في الثباتِ على مقاييس شيوخهِ في الإستشهادِ النحوي ، إلاّ أنه اعتمده في مجالِ المعاني المولّدة التي استحسنها وأخذ بها انسياقاً بتيارِ العصر ، فهذا الشعر مُشاكل لدهره على حدِّ تعبيره ، وكذا اتخذه مجالاً لتحليلاتهِ اللُّغويَّة ونظراتهِ النقديَّة والبلاغيَّة " (٣٤) .

٢ – لم يكن الشعر وحده مدارَ اهتمام المُبرّد ؛ بل كان للشعراءِ حظوةُ كذلك ؛ وتأرجحت هذه الحظوة بين القبولِ والرفض ؛ جرَّاء ما يُقدّمونه من نتاجاتٍ في الساحةِ الأدبيَّة . ولم يأت قبول الشعراءِ ورفضهم على أساس مكانتهم في المُجتمع أو ذواتهم الخاصة ؛ وإنَّما جاء على أساسِ المضامين المبثوثةِ في نصوصِهم الشعريَّة ؛ أي أنَّ التعاملَ معهم ينطلقُ من شعرهم وما فيه من اشكالاتٍ ومفاهيم . وعليه سنعرضُ مجموعةً من الأمثلةِ التي توضّح علوَّ شأن الشاعر ودنوه نتيجة مضامين شعره ، ومن أمثلةِ القبول قوله : " ومما يُستحسن لفظهُ ، ويُستغرب معناه ، ويُحمد اختصارُهُ قول أعرابيٍّ من بني كِلابٍ " (٣٥) . وقوله كذلك : " ومما يُستحسنُ إنشادهُ من الشعر لصحةِ معناه ، وجزالة لفظه ، وكثرة تردُّد ضربه من المعاني بين الناس قول ابن ميّادة لرياح بن عثمان بن حيّان المُرّي" (٣٦) . وقوله كذلك: " ومما يُستحسن في وصف الجُود والحثِّ على المُبادرة به ، وتعريف حمد العاقبة فيه ، قول النّمر بن تولبٍ العُكليّ (٣٧) . وكذلك قوله الذي أعلن فيه استحسانه للشعر المُحدث : " وممّا يُستحسنُ من أشعار المُحدثين قولُ إسحاق بن خلفٍ البهرانيّ " (٣٨) . ومن الأمثلةِ التي توضّحُ تقليله من شأن الشاعرِ ورفضه لما جاء به قوله : " ومن أقبح الضّرورة ، وأهجن الألفاظِ وأبعد المعاني قوله :" (٣٩). ويقصدُ هنا الفرزدق . وقوله كذلك: " وقال نضلةُ السُّلميُّ في يوم غوْلٍ – وكان حقيراً دميماً، وكان ذا نجدةٍ وبأسٍ(٤٠) وفيما يتعلَّق بزاويةِ التمرُّد والمُعارضةِ والمُجادلةِ النابعةِ من الإرث الفلسفيّ والتاريخي؛ نجد أنَّ المُبرّد في خطابه راحَ يُصدر انطباعاتهِ وأحكامهِ بشأن القضايا المُختلفةِ ولاسيما تلك التي تخصُّ الشعر على أساسِ رؤيته الثاقبةِ المُحمَّلة بالأدلةِ والإنثيالاتِ المعرفيَّة.وقد توزعتْ ملامحُ تلك الرؤية على أساسين هُما:

١ – قُدرة المُبرّد على ربطِ الحديث بالقديم ، وكذلك إيجاد مُشتركاتٍ مُتقاربةٍ بين نصٍ وآخر ؛ بُغية جعل النصوص في حالةِ تعاضُدٍ مُستمرٍ لخدمةِ المُتلقي . وقد كانت المُوازنةُ واجراء التقييماتِ والمُفاضلاتِ سلاحه الذي استخدمه من أجل بلوغِ غايته . ولايضاح هذا المسار سنعرضُ مجموعةً من الأمثلة . ومن ذلك المُوازنة التي رجَّحت كِفَّة الفرزدق على نُصيب إذ قال : " وليس شعرُ نُصيبٍ هذا الذي ذكرناه في المدحِ بأجود من

قول الفرزدق في الفخر ، وإنَّما يُفاضل بين الشيئين إذا تناسبا " (٤١) ، فشعر نُصيب بحسب رأيه لا يرقى إلى مُستوى شعر الفرزدق . لذا فلا موازنة بينهما لتحديده شرط التناسب . وفي مجالِ ربط النصوصِ مع بعضها وبيان الأقدمِ للقول ؛ نذكرُ قوله : " وإنَّما أخذ هذا من قول عنترة " (٤٢) .

وقوله كذلك : " وإنَّما أخذ ما في هذه الأبيات من بيت أمرىء القيس ، فإنَّه جمع ما في هذه الأبيات في بيتٍ واحدٍ مع التقدُّم " (٤٣) . وقوله كذلك : " وشبيه بهذا المعنى قول أبي تمام"(٤٤) . وقوله كذلك : " ونظيرُ ذلك قول النابغة الجعديّ(٤٥) . فهذه الأمثلة تُرشدنا إلى السعة الثقافية التي يمتلكها المُبرّد والتي ساعدته على ربطِ النصوصِ مع بعضها ؛ بالإستناد إلى الإحصاءِ والإستقراءِ والقراءةِ المُستفيضة . وهذا يعني أنَّه ينطلقُ من الصراعِ الذي يدفع به نحو عدم التسليم بما موجود ؛ ومُحاولة إعادة المفاهيمِ إلى نِصابها المقبول .

٢ – إعلاء شأن رأيه على الآراءِ الأُخرى عن طريقِ تصحيح ما فيها من أحكامٍ مُتضادة ؛ إلى جانبِ انتقاء الأمثل من تلك الآراء التي تخدم عمله . ففيما يخصُّ الشطر الأول نجدهُ يقول بحقِ شعر عمر بن أبي ربيعة : " معنى صحيح ؛ وقد اعتوره الشعراء ، وكلّهم أجاد فيه " (٤٦) ، فقد حكم على معنى – احتياج الشاعرِ لحبيبته كاحتياجه للماءِ عند الحاجة – بالتواصلِ والرَّغبة ، لانَّ الشعراء أجادوا فيه . وهذه دلالةُ صريحةُ تنمُّ عن نظرةٍ ثاقبةٍ مبنيَّةٍ على قراءةٍ مُستفيضةٍ في ميدانِ الشعرِ وعالم الشعراء . وقال في موضعٍ آخرٍ يبرز فيه الحكم النقديّ المُباشرِ بشأن شعر كميت : " قبيحُ جداً ، وذلك أنَّ الكلام لم يجر على نظم ، ولا وقع إلى جانبِ الكلمةِ ما يُشاكلُها ، وأوّلُ ما يحتاجُ إليه القولُ أنْ يُنظم على نسقٍ ، وأنْ يُوضع على رسمِ المُشاكلة " (٤٧) . أمّا فيما يخصّ اختيار الرأي الصائب وتعضيده نذكرُ قوله : " ويكون – وهو الذي نختار – أن يُخان ؛ فإن قال قائل : كيف يكون التقدير " (٤٨) .وهناك أمثلةُ كثيرةُ تصبُّ في الإتجاه نفسه . ومن خلال الأمثلةِ الخاصَّةِ بإعلاء شأنِ رأيه على الآراءِ الأُخرى ؛ وانتقاء الشواهد المُهمَّة التي تخدم موضوعه نستدلُ على أنَّ منهجه في القياسِ كان نابعاً من ثقافتهِ المنطقيَّةِ القائمةِ على المُساءلةِ والتدقيق – كما أشرنا سابقاً – وهو منهج أفادهُ كثيراً في " ردّ روايات لنصوص جاءت على غير القياس ؛ ولجأ إلى تغييرها لتطّرد مع قياسه ... وبهذا أيضاً خطّأ نصوصاً رويت مُخالفة لما يرى من قياسٍ لاعتبارها نوادِر وشواذ لا يُؤخذ بها " (٤٩) .

الخاتِمةُ

بعد رِحلةٍ شيّقةٍ في عالمِ الثقافةِ اتضح لنا أنَّ القِراءةَ الثقافيَّة تسعى إلى قِراءةِ الخِطاباتِ التي تحظى بالقبول الجماهيري ؛ وقد تبلور كُلّ هذا في خِطابِ المُبرّد النقديّ وعلى صعيدِ الهيمنتين المؤسساتيَّةِ والفرديَّة . ففي ظِلّ الهيمنةِ المؤسساتيَّةِ توصلنا إلى :

١ – خُضوع خطاب المُبرّد إلى ضوابط الأنساقِ الثقافيَّةِ ، أي قبول الإشتراطاتِ والمفاهيم التي تُقدِّمها تلك الأنساق على صعيدِ اختيار الموضوعاتِ والشكل الكتابي .

٢ – إستطاعتْ الأنساقُ الثقافيَّة بثَّ أفكارها من خلف كواليس الأُسس الجماليَّةِ والأدبيَّة ، وقد حاول المُبرِّدُ الخروج على مسارِ تلك الأنساق وإثبات هويته الذاتيَّة ، على الرغمِ من امتشاجها بالهويَّةِ الجماعيَّة ، وتمثَّل ذلك بالعنونةِ ؛ والنخبويَّةِ ، والإختيارات .

٣ – إتكأ خِطابُ المُبرِّد وغيره على مبدأ امتصاص معلوماتِ العُلوم المُنوَّعةِ وتوظيفها على نحوٍ يتماشى مع الغايةِ التعليميَّةِ لِكتاب الكامل .

٤ – إعتمد خطابهُ على منهجِ القياسِ الذي خدمهُ كثيراً في قِراءةِ النُّصوصِ وفرْزنتِها .

وفي ظِلِّ الهيمنةِ الفرديَّةِ توصلنا إلى :

١ – إنطلقتْ هيمنتهُ الفرديَّة من فكرةِ التنوُّر العقلاني منْ جهة ؛ والتمرُّد والثوريَّة منْ جهةٍ ثانية ، والهدفُ من ذلك هو إجراءُ إصلاحاتٍ شاملةٍ في منظومةِ القيم الجماعيَّة .

٢ – كثرةُ الموضوعاتِ التي عرضها المُبرِّد وعالجها تدل على ثُقلِ خطابهِ وصلابته ، وتكشفُ عن نبرةِ التَّعالي والسِعة المفهوميَّةِ التي يتمتعُ بها ، فضلاً عن اعتزازهِ بتراثه الماضي وغيرتهِ على لُغتهِ العربيَّة .

٣ – بروز الثقافةِ النُّخبويَّة التي تدلُ على قِراءةٍ مُتأنيَّةٍ مُعتمدةٍ على العقلانيَّةِ في قِراءةِ الماضي ، والثوريَّة في عدمِ التَّسليمِ بالأفكارِ المُتواترة .

٤ – سلكَ خطابُهُ طريق إصدارِ الأحكامِ من منظارٍ ذاتيٍّ قائمٍ على الذوقيَّةِ والموضوعيَّة ؛ وعالج في ظِلِّ ذلك قضايا مُهمَّة تتعلَّقُ بالشعرِ والشعراء وما يتصلُ باللُّغة .

الهوامش

* – عرّف أرثر أيزابرجر النقد الثقافي بقوله : " إنّ النقدَ الثقافيَّ نشاطٌ وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته ؛ كما أفسر الأشياء ؛ بمعنى أنَّ نقاد الثقافةِ يُطبّقون المفاهيم والنظريات المُتضمّنة في هذا الكتاب – في تراكيب وتباديل – على الفنونِ الراقيةِ والثقافةِ الشعبية ، والحياةِ اليوميَّةِ وعلى حشدٍ من الموضوعات المُرتبطة ، فإنّ النقد الثقافي كما أعتقد هو مهمة متداخلة مترابطة متجاوزة ، متعددة " – النقد الثقافي – تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية – ترجمة وفاء ابراهيم ، رمضان بسطاويسي – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ط ١ / ٢٠٠٣ : ٣٠–٣١ . كما أنَّ " النقد الثقافي يُحاول إنهاء عزلةِ المُثقف والتأسيس لعلاقةٍ قويَّةٍ بين المتن الغالب والهامش المُقصي ويتدارس الوظائف بدون أن يتخلى عن سبيل النصوص وعلاقتها وحواضنها ؛ فضلاً عن الدور الذي يلعبه المُنتج في تحريك ثبات الأنساق والدخول في مغامرات المعنى غير المنتهية " . النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي – د. عبد الرحمن عبد الله احمد – العراق إنموذجا – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط ١ / ٢٠١٣ : ٤١١ .

١– دليل الناقد الأدبي – إضاءة لاكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً – د. ميجان الرويلي و د.سعد البازعي–– المركز الثقافي العربي– بيروت – ط ٢ / ٢٠٠٢ : ٨٩

٢– مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن – د.حفناوي بعلي – الدار العربية للعلوم – ناشرون – بيروت – ط ١ / ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م : ٥٠–٥١ .

٣- قراءة النص وسؤال الثقافة – استبداد الثقافة ووعي القارىء بتحولات المعنى – عبد الفتاح أحمد يوسف – عالم الكتب الحديث – إربد – ط ١ / ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٩ : ٧٩ .

* – " تسعى القراءة الثقافية إذن الى إعادة قراءة النصوص الأدبية في ضوء سياقاتها التاريخية والثقافية ، حيث تتضمن النصوص في بنائها أنساقاً مضمرة ومخاتلة قادرة على المراوغة والتمنّع ، ولا يمكن كشفها أو كشف دلالاتها النامية في المنجز الأدبي إلاّ بإنجاز تصور كلّي حول طبيعة البنى الثقافية للمجتمع ؛ وادراك حقيقة هيمنة تلك الأنساق المؤسسة على فكرة الأيديولوجيا ومفهوم المحتمل في صراع القوى الاجتماعية المختلفة " . النسق الثقافي / قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم – د. يوسف عليمات – عالم الكتب الحديث – إربد – ط ١ / ١٤٣٠-٢٠٠٩ : ١١ .

٤- الثقافة العربية والمرجعيّات المستعارة – د. عبد الله ابراهيم – المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر – بيروت – ط ١ / ٢٠٠٤ : ١٧٦ .

٥- النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية – عبد الله الغذامي – المركز الثقافي العربي – المغرب – ط/١ – ٢٠٠٠ : ٧٧-٧٨ . وينظر: قراءة النص وسؤال الثقافة: ٧٩ ٦- الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة : ١٧٣ .

٧- ينظر : النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي : ٢٦٥ .

٨- النسق الثقافي : ٦٧ .

٩- مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن : ١٩ .

١٠- قراءة النص وسؤال الثقافة : ٩٠ .

١١— الكامل في اللغة والأدب – تأليف إمام العربية أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد – أعدّه واعتنى به علي محمد زينو وعماد حيدر الطيار – مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت – ط ١ / ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ :٢١ .

١٢- مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن : ١٥١ .

١٣- أبو العباس المبرّد نحوه وموقفه من لغة الشعر ونقده – د. زهير غازي زاهد – عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط ١ / ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م : ٢٢

١٤- المصدر نفسه : ٣٥ .

١٥- الكامل في اللغة والأدب : ٢٢١ .

١٦- أبو العباس المبرّد : ٨ .

١٧- ينظر : المصدر نفسه : ٣٥ .

١٨- مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن : ١٥٢ .

١٩- قراءة النص وسؤال الثقافة : ٨٠ .

٢٠- مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن : ١٧٠ .

٢١- النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي : ١٩٧ .

*- عرفها الغذامي " الجملة الثقافية هي المقابل النوعي للجملتين النحوية والأدبية ، بحيث نميز تمييزا جوهريا بين هذه الأنواع ، من حيث إنّ الجملة الثقافية مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة " النقد الثقافي : ٧٣ .

٢٢- الكامل في اللغة والأدب : ٤٣١ .

٢٣- النقد الثقافي – تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية : ٨٨ .
٢٤- الكامل في اللغة والأدب : ١٣٦ .
٢٥- المصدر نفسه : ٢٧١ .
٢٦- المصدر نفسه : ٣٧٣ .
٢٧- المصدر نفسه: ٤٩٩ .
٢٨- المصدر نفسه : ١٧٤ .
٢٩- المصدر نفسه : ٢٠٢ .
٣٠- المصدر نفسه : ٢٦٢ .
٣١- المصدر نفسه : ٧٢٠ .
٣٢- المصدر نفسه : ٣٨ .
٣٣- أبو العباس المبرّد : ٥٩ .
٣٤- المصدر نفسه : ٦٦ – ٦٧ .
٣٥- الكامل في اللغة والأدب : ٤٠ .
٣٦- المصدر نفسه : ٤٨ .
٣٧- المصدر نفسه : ٢٤٩ .
٣٨- المصدر نفسه : ٢٧٢ .
٣٩- المصدر نفسه : ٣٨ .
٤٠- المصدر نفسه : ٧٦ .
٤١- المصدر نفسه : ١٣٦ .
٤٢- المصدر نفسه : ٣٣٣ .
٤٣- المصدر نفسه : ٣٤٩ .
٤٤- المصدر نفسه : ٣٦٢ .
٤٥- المصدر نفسه : ٤٧٤ .
٤٦- المصدر نفسه : ٤٠٢ .
٤٧- المصدر نفسه : ٣٥٦ .
٤٨- المصدر نفسه : ٢٤١ .
٤٩- أبو العباس المبرّد : ٣٦ .

المصادر والمراجع

- أبو العباس المبرّد نحوه وموقفه من لغة الشعر ونقده – د. زهير غازي زاهد – عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط ١ / ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .
- الثقافة العربية والمرجعيّات المستعارة – د. عبد الله ابراهيم – المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر – بيروت – ط ١ / ٢٠٠٤ .

- دليل الناقد الأدبي – إضاءة لاكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً - د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي ـــ المركز الثقافي العربي – بيروت – ط ٢ / ٢٠٠٢ .
- قراءة النص وسؤال الثقافة – استبداد الثقافة ووعي القارىء بتحولات المعنى - عبد الفتاح أحمد يوسف – عالم الكتب الحديث – إربد – ط ١ / ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ .
- الكامل في اللغة والأدب – تأليف إمام العربية أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد – أعدّه واعتنى به علي محمد زينو وعماد حيدر الطيار – مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت – ط ١ / ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ .
- مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن - د.حفناوي بعلي - الدار العربية للعلوم – ناشرون – بيروت – ط ١ / ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
– النسق الثقافي / قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم - د. يوسف عليمات – عالم الكتب الحديث – إربد – ط ١ / ١٤٣٠-٢٠٠٩ .
- النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية - عبد الله الغذامي – المركز الثقافي العربي – المغرب – ط/١ – ٢٠٠٠ .
– النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي - د. عبد الرحمن عبد الله احمد – العراق إنموذجا – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط ١ / ٢٠١٣ .